كتابة القرآن وجمعه

من أفضل ما كتب في هذا الموضوع: كتاب تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته المؤلف : د.محمد بن سالم العوفي .

تاريخ الكتابة :

من المعلوم أن الأمة العربية كانت موسومة بالأمية لا تدري ما الكتابة ولا الخط، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك فقال جل وعلا : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ...)** ولم يذكر عن العرب من كان بعرف الكتابة والخط إلا القليل النادر وذلك قبيل الإسلام ولعله كان تمهيداً لمبعث النبي ﷺ ولرسالته التي حثت على الكتابة ودعت إليها فكان النزر اليسير ممن تعلموا الكتابة.

وقد اختلف المؤرخون في كيفية دخول الكتابة في هذا العدد القليل من قريش لأن قريشاً أمة أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة ، فمنهم من قال: إنها دخلت عليهم من طريق أمية بن حرب بن عبد شمس ، وهذا الرجل تعلمها من عبد الله بن جدعان الذي أخذها من أهل الأنبار في شمال الجزيرة العربية , من أهل العراق فكانوا يعرفون الكتابة فتعلمها العرب منهم ، وقال بعضهم إنها أخذت من قبائل في اليمن.

هذا بالنسبة لقريش في مكة.

أما أهل المدينة فكان فيهم أهل الكتاب من اليهود وكان فيهم من يعلم الصبيان الكتابة .

ثم لما ظهر نور الإسلام في مكة وجاء محارباً للجهل وحاثاً على العلم ورافعاً من شأن الكتابة كان أول آيات القرآن نزولا تحث على ذلك كما في قوله ﷻ : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق ...)** ، وفي سورة القلم وهي ثاني السور نزولا يقسم الله بالقلم الذي هو أداة العلم والتعلم.

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على التعلم والكتابة حتى وجد ما يعرف بكُتَّاب الوحي .

أما النبي فلا شك أنه كان أمياً والقرآن وصفه بأنه أمي كما في سورة الأعراف **(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...)** وفي العنكبوت **(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك..)** وكما قال ﷺ **: " نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)** .

جمع القرآن الكريم

الجمع يطلق ويراد به الحفظ ، ويطلق ويراد به الكتابة .

جمع القرآن : أي حفظه وجمعه في الصدور ، وكتابته في السطور.

المعنى الأول : جمع القرآن بمعنى حفظه وجماع القرآن : حفاظه ، ودليله قوله ﷻ : **(إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)** أي حفظه في صدرك ، وحديث المعالجة وهو حديث ابن عباس كما في صحيح البخاري معالجة الرسول للوحي وما يجده من معاناة في تلقيه للوحي جاء في كيفية تلقيه ﷺ للوحي وأنه كان يحرك شفتيه ولسانه بالقراءة يريد أن يحفظ القرآن بسرعة فيحرك لسانه وشفتيه بالقراءة قبل أن يفرغ جبريل ، فإذا ألقى جبريل الآية رددها ﷺ حرصاً منه ﷺ على حفظه . روى البخاري من رواية ابن عباس ﷺ قال : **" كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال : يقول : إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه : (فإذا قرأناه) يقول : إذا أنزلناه عليك : (فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) أي نبينه بلسانك . وفي لفظ : علينا أن نقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق ، وفي لفظ : استمع ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله)** .

وهذه القصة تبين أن سورة القيامة من أوائل ما نزل من القرآن ، كما يتبين حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن فكان ﷺ أول الحفاظ وسيدهم وكان يتلوه ﷺ على الناس ويحيي به الليل وكان جبريل عليه السلام يعارضه بالقران كل عام في شهر رمضان ، وفي العام الذي قبض فيه عارضه مرتين ، أما الصحابة ﷺ فكانوا يتسابقون إلى حفظه وتلاوته في جميع أوقاتهم ليلا ونهارا ،فكان الذي يمر ببيوتهم يسمع لها دويا كدوي النحل ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال ﷺ : **(إني لأعرف رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار)** فكان يسمع أصواتهم بالليل ويعرف أن هؤلاء هم الأشعريون ، وكان ﷺ يشجع على ذلك، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمه ويُقرؤه القرآن كما بعث مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة قبل الهجرة . وقال عبادة بن الصامت كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منّا يعلمه القرآن ، وكان يُسمع في مسجد الرسول ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم النبي ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .

*** بعض فوائد هذا الحديث :**

١/أن القرآن يؤخذ بالتعلم والإقراء فلا يتعلم الشخص من نفسه ولا يقرئ نفسه لقوله : (**دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن**).

٢/يبين كيف كان مسجد النبي ﷺ في زمنه يضج بهذه القراءة ، مما يدل على حرص الصحابة واهتمامهم بالقرآن .

٣/أمره ﷺ بخفض الصوت حتى لا يشوشوا على غيرهم ، ففيه أن رفع الصوت في القراءة عند أناس يقرؤون منهي عنه .

*** مسألة :**

– هل الحفظة من الصحابة محصورون بعدد معين أم أنهم كثير لا يحصون ؟

أورد البخاري في صحيحه سبعة من الحفاظ بثلاث روايات وهؤلاء هم (**عبدالله بن مسعود ،وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل ، أبي بن كعب ، زيد بن ثابث ، وأبو الدرداء ، وأبو زيد بن السكن**) ، فهؤلاء فقط سبعة ، والبخاري عدهم بناء على الروايات الثابتة وهي ثلاث روايات :

الرواية الاولى : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(خذوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود وسالم بن معقل ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب)**

الرواية الثانية : **عن قتادة قال سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ؟ فقال : أربعة أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد)**

الرواية الثالثة : **عن أنس قال : مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد)**...فهؤلاء السبعة من الحفاظ جاء ذكرهم في الروايات الثلاث السابقة .

سؤال / هل يعني أنهم هم الحفظة فقط؟ كيف نوجه هذه الروايات ؟

جـ/ عرف من الصحابة وكثرتهم وحرصهم على حفظ القرآن وتلاوته وتنافسهم في ذلك وتعليمهم لنسائهم وأولادهم علم أن الحفظة كثيرون وأنهم غير محصورين بعدد **ومن الأدلة على ذلك** :

الأول : ماجاء عن أبي موسى الأشعري أن الرسول ﷺ **قال له : لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود ،فقلت : لو علمت والله يارسول الله أنك تستمع لقراءتي لحبرتك تحبيراً)** يدل على تحسين الصوت بالقراءة ،كما يدل على أن أبا موسى من الحفظة ولم يذكر فيهم ، لأنه كان حريصاً على تلاوته وحفظه وقراءته.

الثاني : **عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جمعت القرآن فقرأته به في كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال : اقرأه في شهر فقلت : إني أطيق أكثر من ذلك، فلم أزل أطلب حتى قال ﷺ اقرأه في خمسة أيام)**

يدل على أن عبد الله كان من الحفظة ولم يذكر منهم حيث قال : جمعت أي: حفظت .

الثالث /حديث رفقة الأشعريين كما تقدم سابقاً وهذا يدل على أن الحفظة من الأشعريين كثيرون فكيف بغيرهم ؟! فهذا يدل على أن الحفظة من الصحابة كثير .

الرابع /حديث عبادة المتقدم ، أن الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى من يعلمه القرآن " دل على حرصهم على تعلم القرآن وتعليم الرسول لهم " .

الخامس / ماجاء في مناقب الصحابة وُجد أن القراء كثيرون منهم : الخلفاء الأربعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو هريرة ، وطلحة بن عبيد الله ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عمر ، و ابن عباس ، وابن الزبير ، وغيرهم كثير ممن جاء في سيرهم أنهم يحفظون القرآن كاملا ، وكذلك من النساء : عائشة ، وحفصة ، و أم سلمة ، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث "الشهيدة "{كان النبيﷺ يزورها ويسميها الشهيدة

وأمرها أن تؤم أهل دارها ، جاء في سيرتها أنها استأذنت النبي ﷺ لتخرج معه في إحدى غزواته تساعدهم وتداوي الجرحى فأمرها بأن تبقى وقال لها :أنت الشهيدة لأنها كانت تتمنى الشهادة وقد نالتها حيث سمّها غلام لها }.

كذلك القرّاء السبعون الذين قتلوا في بئر معونة وسموا (قرّاء) لأنهم كانوا يقرؤون القرآن ويتقنونه ، {قصة القراء السبعين الذين قتلوا في بئر معونة وقد أنزل الله فيهم قرآنا ودعا النبي ﷺ على قاتليهم كما خرج لقتالهم، وهذا يدل على أن هناك من القراء سبعين غير السبعة الذين أوردهم البخاري .

ما أورده البخاري وجهه العلماء بتوجيهات..{قوله: لم يجمع القرآن إلا هؤلاء }:

التوجيه الأول : لم يجمعه بهذه الصورة تلقيا من الرسول ﷺ دون واسطة سوى هؤلاء السبعة ولذا جاء عن ابن مسعود"**تلقيت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة** " أكثر من نصف القرآن.

التوجيه الثاني : لم يجمعه : أي لم يكتبه فالجمع هنا بمعنى الكتابة ، وهؤلاء السبعة هم كتاب الوحي .

وقال بعضهم في توجيه هذا الرأي : لم يجمعه سوى هؤلاء الكتاب .

التوجيه الثالث : أي هؤلاء جمعوا القرآن بجميع حروفه وقراءاته.

* **والأرجح أن نقول** : أن هؤلاء السبعة تميزوا بمزايا جعلتهم يُخصون بذلك ، **وهذه المزايا هي** :

١- أنهم جمعوا القرآن كله في صدورهم وعرضوه على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم وغيرهم كثير لكن لم تتوافر فيهم هذه المزايا والله أعلم .

واشتهر بإقراء القرآن ـ شهرة عالية ـ والجلوس للتعليم من الصحابة في زمن النبي ﷺ وبعده سبعة هم : **عثمان ،وعلي ،وأبي بن كعب ،وزيد بن ثابت ،وابن مسعود ،وأبو الدرداء ،وأبو موسى الأشعري،** وهؤلاء نذروا أنفسهم وفرغوها لتعليم القرآن ، وقد أخذ من هؤلاء كثير من الصحابة ومن صغار الصحابة ومن التابعين ، وتبين أن جمعه : أي حفظه في صدور الرجال .

وأن النبي ﷺ جلس لتعليم القرآن وتلقاه الصحابة عنه وكان الحفاظ كثيرين جداً .

***المعنى الثاني : جمع القرآن بمعنى كتابته :**

كان الرسول ﷺ يأمر بكتابة القرآن واتخذ من الصحابة كُتّابا للوحي ، وذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وقد بُعث في أمة أمية ، وكانت صدورهم أوعية ودواوين للقرآن الكريم فحفظوه واستظهروه ، إلا أن القرآن حظي بميزة أخرى زيادة على ما سبق وهي العناية بكتابته زيادة على حفظه ،

وقد اتخذ النبي ﷺ كتّابا للوحي يأمرهم بكتابة القرآن مبالغة في تثبيته وتقييده ، فتظاهرت الكتابة في السطر والحفظ في الصدر جميعا .

**كتّاب الوحي :

اشتهر عدد كبير من الصحابة بكتابة الوحي ،وقد أوصلهم بعض العلماء إلى أربعين صحابيا ..منهم : الخلفاء الأربعة ، ومعاوية ،وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وخالد بن الوليد ، وكانت الكتابة في مكة إلا أنها قليلة لقلة الكتّاب ثم توسعت بعد الهجرة ..{قصة إسلام عمر أنه وجد الصحيفة مع أخته } دل على أنهم كانوا يكتبون لكن ذلك كان قليلا، ودعا النبي ﷺ بعض من يكتب فيأمره بكتابة الآية ويرشده إلى موضعها، **(فعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه السورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا)** انتهى

وأحيانا يقول : ضعوا هذه السورة ، وأحيانا يقول : ضعوا هذه الآية ، وأحيانا يقول : ضعوا هذه الآيات في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا .

وسائل الكتابة

لم تكن أدوات الكتابة متيسرة في ذلك الوقت فكانوا يكتبون حسب ما تيسر لهم ومن ذلك مثلاً الرقاع والعسب والأكتاف واللخاف والحجارة .

- **الرقاع** : جمع رقعة وتكون من جلد أو قماش أو ورق ، يكتبون عليها .
- **العسب** : جمع عسيب وهو طرف الجريد العريض عندما يكشط الخوص عنه .
- **الأكتاف** : جمع كتف وهو العظم العريض ويسمى اللوح .
- **اللخاف** : جمع لخفة وهي نوع من الحجارة الرقيقة كانوا يكتبون عليها .

وغيرها من وسائل الكتابة المتوفرة في ذلك الوقت وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها صحابة رسول الله ﷺ في كتابة القرآن مقارنة بما توفر في هذا العصر من أنواع الورق والأقلام . ومع ذلك كانت همتهم قوية .

وكتابة القرآن الكريم في السطور كانت تؤيد حفظه في الصدور وكثير من الصحابة كان يعتمد على حفظه ويعرض ما حفظه على النبي ﷺ ، وبعضهم يدارس بعضاً وكان النبي ﷺ معتمداً على حفظه وكان يعارضه جبريل عليه السلام بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان ، فيدارسه القرآن وفي العام الذي قبض فيه عارضه القرآن مرتين ، وكان الصحابة يكتبون القرآن ولهم مصاحف خاصة إلا أن هذه المصاحف لم تكن دقيقة لاشتمالها على بعض الآيات المنسوخة وبعض التفسيرات : **كمصحف أبي بن كعب وابن مسعود وعلي بن أبي طالب** وغيرهم .

١- **فأبي بن كعب** ﷺ اشتهر أن له مصحفا خاصا يبدأ (**بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران**) .

٢- **وعبد الله ابن مسعود** ﷺ كان مصحفه يبدأ (**بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران**) .

٣- **وعلي بن أبي طالب** ﷺ كان له مصحف خاص مرتب حسب النزول فكان قد بدأ بسورة (**اقرأ ثم القلم ثم المزمل ثم المدثر إلى آخر سور القرآن نزولا**) بالمكي ثم المدني إلى آخر القرآن ، فكانت لهم مصاحف خاصة يكتبون القرآن .

والقرآن في عهد النبي ﷺ كتب كاملاً ولكنه في صحف مفرق الآيات والسور وأحياناً مرتب الآيات مفرق السور ، ولم يجمع كاملاً في مصحف واحد كما ذكر ذلك زيد بن ثابت حتى قبض رسول الله ﷺ .

الأسباب التي دعت إلى عدم كتابة القرآن في مصحف واحد في العهد النبوي :

١- أن النبي ﷺ كان يترقب ورود ناسخ لبعض آياته .

٢- لأن نزول الآيات كان لا يزال مستمراً وهذا يؤدي إلى المحو والإزالة في كل وقت وخاصة أنه نزل في فترة طويلة في (٢٣) سنة فيضطر للمحو والتغيير . (حتى ذكر أن سورة الأحزاب كانت بمقدار سورة البقرة) ولا زال النسخ فيها حتى وصلت إلى ما هي عليه .

فلما انقضى الوحي بوفاة النبي ﷺ وأُمن النسخ وعُلمت الآيات والسور ألهم الله جل وعلا الخلفاء الراشدين إلى كتابته في مصحف واحد وإن كان هناك مصاحف موجودة بين أيديهم لكنهم أرادوا أن يكون عندهم مصحف تميز بالتحري والدقة والشمولية والضبط أكثر ، فالجمع الأول في عهد النبي ﷺ **كان على نوعين هما:**

١- جمعه في الصدور (الحفظ) . ٢- جمعه في السطور (الكتابة) .

* **الجمع الثاني** : في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

لا شك أن القرآن قد كتب كله على عهد رسول الله ﷺ إلا أنه كان مفرق الآيات والسور أو أنه مرتب الآيات ومفرق السور وأول من جمعه في مصحف مرتب الآيات ومرتب السور كما نزل هو أبو بكر الصديق ﷺ .

أسباب جمع أبي بكر الصديق ﷺ للقرآن :

ما حصل في موقعة اليمامة سنة (١٢ هـ) التي وقعت بين المسلمين وأهل الردة أتباع مسيلمة الكذاب وقد استشهد فيها ما يقرب من سبعين من حفظة القرآن الكريم من الصحابة فهال ذلك عمر بن الخطاب وجاء يعرض هذا الرأي على أبي بكر الصديق ، ويروي لنا هذه القصة كما في البخاري زيدُ بن ثابت قال : (**أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بـ كر ر ضي الـ له**

عنه إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإ ني أخ شى أن يـ ستحر القـ تل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم" حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عمر حياته ثم حفصة بنت عمر رضي الله عنه) أ.هـ .

*** سؤال / لماذا اختار أبو بكر الصديق زيد بن ثابت ؟**

– لا شك أن اختيار أبي بكر زيداً **لأسباب منها** :

١–أنه من الحفظة الذين كانوا يحفظون القرآن كاملاً .

٢– أنه من الكتبة كما قال أبو بكر : **(وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ)** فهو من الكتاب .

٣– وهو أقواها أن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة لما عرض جبريل عليه السلام على النبي ﷺ العرضة الأخيرة كان ممن شهدها زيد بن ثابت أي تلقاها من النبي ﷺ .

*** سؤال / جاء في الحديث: (وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره) فهل يعني ذلك أنها لم تعرف إلا مع هذا الصحابي وأن الصحابة لم يعرفوها ؟**

– الجواب: أن زيداً لم يجدها مكتوبة إلا مع هذا الصحابي لا أنها لم تعرف، لأن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظونها ومنهم زيد لكن ورعاً منه واحتياطاً كان يشفع حفظه وحفظ الصحابة بالكتابة ، وبهذا يزول الإشكال وإن كانت محفوظة عند كثير من الصحابة ولكن زيد كان يحتاط أن يشفع الحفظ الموجود عنده بالكتابة عند الصحابة ، وهذا يبين دقة منهج زيد في كتابة المصحف .

المنهج الذي سار عليه زيد بن ثابت ﷺ في جمعه القرآن الكريم :

طفق زيد ﷺ يجمعه من العسب واللخاف والحجارة والرقاع إضافة إلى ذلك جمعه من صدور الرجال فكان ينهج فيه ما كان مكتوباً وما كان محفوظاً ولا يقبل آية أو آيات من القرآن الكريم إلا أن تكون محفوظة ومكتوبة بل إضافة إلى ذلك أنه يستشهد على ذلك بشاهدي عدل لذلك ، ثبت أن أبا بكر قال لعمر و لزيد : " **اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه** " فهذا دليل أنه كان لا يكتفي بالحفظ والكتابة بل يضيف الاستشهاد على هذه الآيات وثبوتها

ولذلك روي عن عمر أنه قال : " **من كان تلقى عن رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به** " وكانوا يكتبون ذلك في الصحف وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان على أن ذلك المكتوب كتب من بين يدي رسول الله ﷺ .

- **المدة التي مكثها زيد ﷺ في كتابة القرآن** :

وقد تم جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق ﷺ كاملاً خلال سنة واحدة تقريباً وذلك لأنه أمر زيداً بجمعه بعد وقعة اليمامة واستمر يجمعه حتى انتهى بوفاة أبي بكر الصديق ﷺ .

- **مآل هذه الصحف** :

جاء في صحيح البخاري ما يبين هذا حيث جاء فيما تقدم قال : " **فكانت الصحف عند أبي بكر ﷺ حتى توفاه الله ثم صارت إلى عمر ﷺ وظلت عنده حتى توفاه الله ثم صارت إلى حفصة بنت عمر ﷺ ثم طلبها عثمان ﷺ عندما أراد أن يجمع القرآن مرة أخرى فنسخها ثم أعادها إلى حفصة** " .

*** ما الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب ﷺ أن يجعل الصحف عند ابنته حفصة ؟**

عمر بن الخطاب لم يوص بالخلافة لعثمان كما أوصى أبو بكر لعمر بها بل جعل الأمر شورى بين الستة من العشرة ، خرج من العشرة اثنان هما أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة قتل في زمن عمر ، وسعيد بن زيد كان بينه وبين عمر قرابة فنحاه حتى لا يتهم أنه أراد تقريب أحد أقاربه فسقط أربعة وبقي ستة هم : **عثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف** فجعل الشورى بينهم إلى أن انتهت الخلافة إلى عثمان فكان مشغولاً بالخلافة . وكذلك أنه طعن والصحف عند حفصة فبقيت عندها.

- **تسمية القرآن بالمصحف** :

تسمية القرآن الكريم بالمصحف نشأت في عهد أبي بكر ، عن ابن شهاب رحمه الله قال : " **لما جمع الصحابة القرآن وكتبوه على الورق قال أبو بكر : التمسوا لنا اسما فقال بعضهم : السفر (والسفر الكتاب العظيم جمع أسفار) فقال : ذلك اسم تسميه اليهود فكرهوا ذلك ، وقال بعضهم : هو المصحف فإن الحبشة يسمون مثله المصحف** " فاجتمع رأيهم على أن يسموه بالمصحف.

مزايا جمع أبي بكر الصديق ﷺ للقرآن

- تميز بمزايا عديدة **من أشهرها :**

١- أن هذا المصحف كان مرتب الآيات والسور على ما هو الآن ، مبدوء بالفاتحة مختوم بالناس .

٢- أن كتابته كانت في غاية من التثبت والدقة والتحري وهذا يبين المنهج الذي سلكه زيد فتميز بأن كتابته وجمعه في غاية من التثبت والدقة والتحري .

٣- اشتمال هذا الجمع على الأحرف السبعة.

٤- اقتصار هذا الجمع على ما لم تنسخ تلاوته ، فكانت مصاحف الصحابة لا تتميز بذلك فكان فيها آيات قد نسخت أما هذا المصحف فإنه أجمع الصحابة على اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته.

٥- تجريده من الزيادات أو التفسير والبيان لبعض آياته فمصاحف الصحابة كانت في كثير منها تفسير لآيات إما أنهم علموا أنها قراءة أو أنهم أرادوا كتابة تفسيرها .

٦- كتابة هذا المصحف في عهد قريب من مشكاة النبوة في السنة الثانية عشرة للهجرة والنبي ﷺ توفي في السنة الحادية عشرة للهجرة .

إذا علم هذا فليعلم أن هذا القرآن بقي عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة فلما تولى عثمان الخلافة في السنة (٢٣هـ) وبعد مضي سنة من خلافته عزم على جمع القرآن أو استنساخه مما كان قد جمع في عهد أبي بكر ومنهم من يسميه الجمع الثالث والصواب أن يقال أنه استنساخ وليس جمعا فقد قام بنسخ ما كان في الصحف عند حفصة ونشرها في بلاد المسلمين .

إن أبا بكر أراد بجمعه المصحف حتى لا يضيع القرآن وكان الصحابة عندهم مصاحف وكل صحابي عنده مصحف وله تلاميذ كما ذكرنا بدأت تختلف المناهج فالقراء والحفظة يختلفون فبدأ الخلاف يدب بين صفوف المسلمين وخاصة من التابعين وصغار الصحابة فأراد عثمان ﷺ القضاء على هذا الخلاف جمع الناس على مصحف واحد هو مصحف عثمان أو أبو بكر ﷺ ثم بعد جمعه يلغي ما سواه من المصاحف التي كان يتداولها الصحابة فيما بينهم .

* **الجمع الثالث : أو المرحلة الثالثة** : جمعه في عهد الخليفة عثمان أو استنساخه في عهده هذا الجمع يرويه لنا البخاري في صحيحه ، حيث روى بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه **أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).**

هذا النص الذي رواه البخاري في هذه القصة يتبين فيه **أمور كبيرة هي على جانب عظيم من الأهمية** :

١- أن اختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساس مع أمر عثمان ﷺ باستنساخ صحف حفصة وجمعه في مصاحف .

٢- أن اللجنة التي كلفت بهذا العمل كانت رباعية هم : **زيد بن ثابت** وكان مدنياً من الأنصار وثلاثة من قريش وهؤلاء كانوا من ثقات الصحابة وأفاضلهم وأجلائهم .

٣- أن اللجنة الرباعية باتخاذها من صحف حفصة أساساً لنسخ المصاحف إنما استندت في عملها إلى ما قام به أبو بكر في جمعه الأول .

٤- أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش فهي اللغة المفضلة لكتابة النص القرآني عند حدوث الخلاف بين القرشيين الثلاثة وزيد ﷺ .

٥- أن عثمان ﷺ أرسل إلى الآفاق الإسلامية بنُسخ من المصحف الذي نسخه عنده هؤلاء الأربعة ورأى حسماً للنزاع أن يحرق ما عدا ذلك من المصاحف الخاصة بالصحابة وأمر أن تحرق حتى يتفقوا على مصحف واحد ويجتمعوا عليه .

***سؤال/ هل كان حذيفة هو الذي فزع من هذا الاختلاف أو أن غيره كذلك ؟**

- لم يكن حذيفة وحده فزعاً من اختلاف المسلمين في القراءة فقد كثر الخلاف وساور القلق أنفس الصحابة الكرام وبلغ ذلك عثمان ففزع أيضاً من الأمر فأراد أن يتدارك الأمة قبل أن يستفحل الأمر فيهم ، ومما ساعد على هذا الاختلاف وجود المصاحف المتعددة في أيدي الكثير من الصحابة كمصحف أبي وعبد الله بن مسعود والمقداد وأبو موسى الأشعري ، فهذه المصاحف المختلفة هي التي أثارت هذا الخلاف بين الصحابة والتابعين ومن دخل في الإسلام بعد ذلك

سؤال / لم أمر عثمان ﷺ بإحراق المصاحف بعد هذا الجمع الأخير؟

١- لأن هذه المصاحف لم تكن دقيقة ومفحوصة هذا الفحص الدقيق .

٢- لأن بقاءها سيكون سبباً في الشقاق والنزاع والتذكير بما سبق من الخلاف الذي وقع بين الناس .

موقف الناس من فعل الخليفة عثمان ﷺ :

لما قام الخليفة عثمان ﷺ بهذا العمل الجليل وقع ذلك في قلوب الناس موقع القبول والاستحسان وكان هذا الرأي الذي رآه عثمان ﷺ رأيا للأمة كلها لأن فيه وحدة للكلمة والقضاء على كل سبب يورث النزاع .

عمل اللجنة الرباعية :

شرعت هذه اللجنة المكونة من أربعة من أجلاء الصحابة في تنفيذ ما أمر به عثمان ﷺ سنة (٢٥هـ) . وأمرهم بأن ينسخوا الصحف التي عند حفصة ﷺ ، وقد كان هؤلاء الصحابة الذين قاموا بهذه اللجنة من الحفظة لكتاب الله، وبعضهم كان عنده مصحف خاصٌ به إلا أنهم نسخوا هذه الصحف التي كانت

عند حفصة لكون مصاحف المؤمنين مستندة إلى أصل المصحف الذي عند أبي بكر ﷺ ، ولما تميز هذا المصحف بتلك المزايا المتقدمة ، وهذا هو السبب في الرجوع إلى صحف حفصة .

مصير الصحف بعد إعادتها إلى حفصة ﷺ

ظلت هذه الصحف عندها إلى أن توفيت سنة (٤٥هـ) . وقيل إن الخليفة الأموي مروان بن الحكم حاول سنة (٦٥هـ) أن يقوم بإحراقها أو أنه أحرقها وقال : " **إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كُتب وحُفظ بمصحف الإمام فخشيت إن طال بالناس زمان أن يَرتاب في شأن هذه الصحف مُرتاب** " .

*** عدد المصاحف التي نسخت في عهد الخليفة عثمان ﷺ وقامت به اللجنة الرباعية :**

قامت اللجنة المكلفة بهذا العمل بنسخ عدد من المصاحف ، ولكن العلماء اختلفوا في عددها لأن عثمان ﷺ أمر بنسخها ثم إرسال كل مصحف إلى الآفاق .

*** يقول أبو عمرو الداني في كتابه { المقنع } في رسم المصاحف :**

أكثر العلماء على أن عثمان ﷺ لما كتب المصاحف جعلها أربع نسخ وبعثها إلى كل ناحية : (**الكوفة والبصرة والشام وترك واحداً عنده**).

*** أما السيوطي في { الإتقان }** : فإنه يرى أن المشهور أنها خمس : (**الكوفة والبصرة والشام ومصر وواحد بالمدينة**).

وبعضهم أوصلها إلى ست فأضاف إلى ما تقدم (**اليمن**) . وبعضهم أوصلها إلى سبع فأضاف (**البحرين**) والمراد بالبحرين جهة الشرق من الجزيرة الأحساء والقطيف وما حولها .

مزايا المصاحف العثمانية :

اشتملت المصاحف العثمانية على سور القرآن الكريم (١١٤) سورة ، وقد كانت كتابتها خالية من النَّقْط والشَّكْل ، فلم يحدث التنقيط والتشكيل إلا بعد عهد عثمان بن عفان ﷺ .

*** سؤال / كيف يتم التفريق بين الحروف المتشابهة وقد كانت خالية من النقط والشكل ؟**

كان الرسم يختلف فمثلاً الزاي مجوفة أكثر من الراء ، النبرة في الثاء أوسع منها في الباء والتاء ، القاف مجوفة أكثر من الفاء وهكذا في سائر الحروف المتشابهة .

وكان المصاحف بالإضافة إلى ذلك خالية من أسماء السور والترقيم اقتداء بمصحف أبي بكر ، فقد كانت على هذا النمط . كما أن هذه المصاحف من مزاياها أنها جردت مما ليس بقرآن من الشروح والتفاسير ؛ فإن منهم من كان يكتب ما سمع من تفسير من الرسول ﷺ في مصحفه **فمثلاً :**

- كتب ابن مسعود في مصحفه : " **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج** .. " .
- وكذلك عائشة ﷺ في مصحفها : " **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر** .. " .

وقد حمل العلماء هذه الزيادة على أنها تفسير .

تميزت هذه المصاحف العثمانية التي أمر الخليفة عثمان بكتابتها بهذا الرسم المختص بخلوها من النَّقْط والشَّكْل لأجل أن تحتمل أكثر القراءات **نحو :**

- (**فتبينوا**) : تقرأ (**فتثبتوا**) .
- ومنها ما يتعلق بالشكل مثل قوله : (**إنه عَمَلٌ غيرُ صالحٍ**) : تقرأ (**إنه عَمِلَ غيرَ صالحٍ**) .

فكان معيناً على احتمال مثل هذه القراءات .

*** لما تم نسخ المصاحف على العدد المتقدم قام عثمان ﷺ بإرسال قارئ مع كل مصحف والسبب في ذلك :**

- ليزيد من إقبال الناس على تلقي القرآن من صدور الرجال وليكون الاعتماد على الحفظ و النسخ والكتابة مؤيدة لذلك ، ولأن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي والمشافهة .

الحُفَّاظ الذين بعثهم الخليفة عثمان ﷺ :

١- بعث عبد الله بن السائب إلى مكة مقرءا لأهلها .

٢- بعث المغيرة بن شهاب لأهل الشام .

٣- بعث أبا عبد الرحمن السلمي لأهل الكوفة .

٤- بعث عامر بن عبد القيس لأهل البصرة .

٥- أبقى زيد بن ثابت عنده مقرءا لأهل المدينة .

هذا أقرب ما ذكر للاختلاف المذكور في عدد المصاحف ، وعليه أكثر العلماء .

*** العمل الذي قام به الخليفة عثمان ﷺ كان بإجماع الصحابة :**

وذلك أنه لما أحرق المصاحف الفردية التي كانت سبباً في شيوع الخلاف بين الناس لم يكن ذلك إلا بعد مشورة وتأييد من الصحابة ﷺ فكان قد جمع كثيراً من الصحابة واستشارهم في ذلك فأيدوا هذا الفعل فكان منهم إجماعاً .

*** مصير الصحف التي بعث بها الخليفة عثمان ﷺ إلى الأمصار :**

بقيت عند الصحابة ثم التابعين ثم لايعرف مصيرها ، وقد ذُكر أن الرحالة المشهور (**ابن بطوطة ت ٧٧٩هـ**) رأى بنفسه بعض تلك المصاحف فقد ذكر أنه رآها في غرناطة ومراكش والبصرة وبعض البلدان الأخرى .

وقد ذكر (**ابن كثير ت: ٧٧٤هـ**) أنه رأى مصحفاً في جامع دمشق يقول : " **رأيت كتاباً عزيزاً جليلاً بخط حسن مبين بحبر محكم في رقٍّ أظنه من جلود الإبل** " والله أعلم بذلك .

ولا يكاد يوجد منها مصحف اليوم وإنما تناسخت إلى أن وصلنا ما هو منسوخ ، أما ما كتب فلم يوجد ، وقيل إن هذا المصحف الذي رآه ابن كثير نقل إلى بريطانيا وظل هناك في دار الكتب فترة ، وقيل إنه احترق في جامع دمشق عام ١٣١٠هـ .

* ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم :

أولاً : ترتيب الآيات

* **تعريف الآية** : الآية في معناها اللغوي تطلق على معان متعددة **فتطلق على** :

١ – العلامة : فيقال هذه آية بمعنى : علامة ومنه قوله ﷻ : **(إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ..)** أي : علامة ملكه.

٢– وتطلق على **الدليل** : وهذا كثير في القرآن ومن ذلك قوله جل وعلا : **(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ..)** أي : دلائل قدرته .

٣– وتطلق بمعنى **العبرة** : كما تكرر لفظها في سورة الشعراء في قوله ﷻ : **(إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)** بمعنى : عبرة لمن بعدهم ، وكذلك قوله:**(لتكون لمن خلفك آية)** أي : عبرة .

٤– وتطلق بمعنى **المعجزة** : كما في قوله ﷻ : **(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ..)** أي : معجزات ، وقوله : **(آيات مفصلات ..)** أي : معجزات .

وقد سمى الله الآيات في القرآن الكريم بهذه التسمية لاشتمالها على ما تقدم ، فالآية في القرآن علامة على نفسها وعلى انفصالها عن غيرها وهي في الوقت نفسه عبرة يعتبر بها السامع والقارئ وهي دليل من دلائل الله وهي معجزة على صدق الرسالة وقد سمى الله الآيات في كتابه فقال : **(تلك آيات الكتاب)** ، وقال : **(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)** يبين أن القرآن مشتمل عليها .

* **الآية في اصطلاح العلماء** : هي **المقطع من السورة له مبدأ ونهاية** مثلا قوله ﷻ : **(والعصر)** فهذه آية ، **وآخر الآية يسمى بالفاصلة** .

* **الفرق بين الفاصلة ونهاية الآية** : الفاصلة هي : الكلمة التي تكون آخر الجملة مثال ذلك : **(إن في ذلك لآية)** هنا فاصلة ، **(الر)** فاصلة **(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت)** .

فالفرق بينهما : أن كل آية تنتهي بفاصلة (**فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة تكون نهاية آية**) فالفاصلة أعم ، فالفاصلة قد تكون في النصف أو في آخر الآية فهي الكلمة التي تكون آخر الجملة .

* **آيات القرآن طوال وقصار** :

آيات القرآن الكريم تختلف طولاً وقصراً ، وأكثر الآيات الطوال تكون في السور الطوال أما الأغلب في الآيات القصار فتكون في السور القصار . مثلاً سورة المائدة آياتها طوال لكونها من الطوال ، وقصار

السور آياتها قصار و هذا الغالب لكن قد يأتي ما يخالفه مثلاً سورة المزمل في آخرها آية طويلة مع أنها من قصار السور ، وسورة الشعراء آياتها قصار وهي من طوال السور .

***أطول آية في القرآن** :

أطول آية في القرآن هي آية الدين في سورة البقرة .

***أقصر آية في القرآن** :

أما أقصر آية فمختلف فقيل:**(مدهامتان ، أو طه ، أو يس ، أو حم ، أو ثم نظر)**.

*** الفائدة من معرفة الآيات ومعرفة نهاياتها** :

معرفة الوقف والوقف على رؤوس الآي سنة كما جاء في الأحاديث الصحيحة في وصف قراءة النبي ﷺ أنه كان يقطعها آية آية: **(بسم الله الرحمن الرحيم ويسكت ، الحمد لله رب العالمين ويسكت ، الرحمن الرحيم ويسكت)** فالوقوف على رؤوس الآي سنة متبعة.

*** عدد آيات القرآن الكريم** : مختلف فيه ، فقد اختلف العلماء في عدد الآيات في المصاحف المعروفة مصاحف الصحابة والقراء البصريين والكوفيين والشاميين فوقع الخلاف في عدد الآيات وإجماع القراء على أنها (٦٢٠٠) ستة آلاف ومائتا آية ، ثم اختلفوا على ما زاد على ذلك ؛ فالمصحف الكوفي برواية حفص عدد آياته (٦٢٣٦) آية ، على اختلاف القراء في باقي المصاحف .

*** السبب في الاختلاف في عدد الآيات**

– الاختلاف في عدد الآي لما جاء عن النبي ﷺ فكان النبي يقف على رؤوس الآي ، وأحياناً يصل الآية بالآية لأجل إتمام المعنى فيحسب السامع أنها آية واحدة إذا وصلها فيظن أن الآية الأولى فاصلة ، ومنهم من نظر إلى الوقف ومنهم من نظر إلى الوصل فحدث الاختلاف في ذلك بين الصحابة ومن بعدهم .

* **فمثلاً (ا لم)** في ست سور هي آية منفصلة وهي : (**البقرة وآل عمران والأعراف والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة**) أما **(طس ون وص وق)** فهي فاصلة وليست آية ، **(ك هيعص)** في مريم آية وليست فاصلة .

*** كلمات القرآن وحروفه** :هذا مما بحثه العلماء ، والتوسع في ذكره لا طائل وراءه ، واهتمام العلماء به يدل على العناية التامة بكتاب الله فقد عدوا الآيات والكلمات والحروف فقالوا إن كلماته (٧٧٩٣٤) سبعة وسبعون ألفاً وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، كما اعتنوا بعد حروفه ، وبيان أنصافه وأخماسه وأرباعه حتى عدوا كم ألفاً وكم ياء وكم باء .

قال السيوطي في { الإتقان } : " **إن البحث في كل هذه الأمور والاشتغال بها مما لا طائل تحته** ".

ترتيب الآيات في القرآن الكريم:

ترتيب الآيات في القرآن كان بتوقيف النبي ﷺ ولم يكن باجتهاد الصحابة ، فقد أجمع العلماء من الصحابة ومن جاء بعدهم على أن ترتيب الآيات توقيفي وتواترت الأدلة الصحيحة على ذلك فقد كان جبريل عليه السلام يوقف النبي على مواضع الآيات وسورها وكان رسول الله ﷺ يقول : **(ضعوا آية كذا في سورة كذا)** .

الأدلة على أن ترتيب الآيات كان توقيفياً :

١- ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن الزبير قال : **قلت لعثمان: ﴿قوله: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج) قال: قد نسختها الآية الأخرى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) قال ابن الزبير فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال عثمان: يا ابن أخي لا أغير شيئا من مكانه)** . فدل هذا على أن الأمر توقيفي .

٢- ما رواه مسلم عن عمر قال : **(ما سألت النبي عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال : أما تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء)** وهذا يدل على أن الآيات مرتبة ترتيباً توقيفياً **(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)**.

٣- ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : **(من قرأ الآيتين من خواتيم سورة البقرة في ليلة كفتاه)** ، فالرسول ﷺ أشار إلى آخر آيتين ولو لم تكن مرتبة لما عرف الصحابة ما هي خواتيم البقرة.

٤- ما أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال : **كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..)** النحل آية (٩٠) .

٥- ما روي عن المسور بن مخرمة قال : **قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا) قوله : (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين ..)** .

٦- ما ثبت عنه من قراءته لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء ، وقرأ المفصل كاملاً وغير ذلك ، وقراءته لهذه السور لا شك أنها مرتبة الآيات .

هذه الأدلة وغيرها تدل على أن ترتيب الآيات كان ترتيباً توقيفياً بأمر النبي ﷺ الذي أوحى الله به إليه ، وهو الترتيب المعهود.

***ثانياً: ترتيب السور في القرآن الكريم**

* **تعريف السورة** : في **اللغة** : مأخوذة من سُور المدينة **لإحاطتها** بآياتها إحاطة السُوْر بالبنيان ، أو مأخوذة من سور المدينة **لارتفاعها** فإن سور المدينة لا بد أن يكون مرتفعاً فالسورة تكون مرتفعة ارتفاعا معنوياً وهو ارتفاع الرتبة والمنزلة ، وقيل السورة مأخوذة من سور المدينة لكونها ضمت آيات منها ، وسور المدينة تكون من لبنات عديدة ، فالسورة مأخوذة من ثلاثة أوجه : **الإحاطة والارتفاع وكونها من أجزاء.**

* **السورة في اصطلاح العلماء** : **هي طائفة من الآيات لها بداية ونهاية .**

وتسمية السورة قد ورد في القرآن الكريم ففي سورة النور قال ﷻ : **(سورة أنزلناها وفرضناها)** ، وفي سورة هود **(قل فأتوا بعشر سور)** وفي يونس **(فأتوا بسورة من مثله)** .

* **الحكمة من جعل القرآن سوراً متعددة** :

١- حسن الترتيب والتنويع فالجنس إذا انطوى تحته أصناف وأنواع كان أحسن وأتم وهذا مشاهد .

٢- تسهيل الحفظ على الأمة والنشاط في حفظه ، فإذا كان الإنسان يقرأ أو يحفظ سورة ثم أتقنها علم أنه أخذ من كتاب الله حظا ونصيبا ، فيعظم عنده ما حفظ ويعظم هو عند الناس، وفي حديث أنس قال:" **إن الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدَّ في أعيننا**".

* **الحكمة في كون سورالقرآن الكريم منها الطوال والقصار** :

الذي يظهر وهو الأقرب وهو التدرج في تعليم القرآن من القصار إلى ما فوقها وهذا تيسير من الله على عباده لحفظ كتابه حتى يكون حافزاً في حفظ كتاب الله .

* **عدد السور في القرآن الكريم** :

مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) بإجماع العلماء ، ونقل عن مجاهد أنه عدها مائة وثلاث عشرة سورة (١١٣) فجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة والأول هو المعول .

* **عدم ذكر البسملة في أول سورة براءة (التوبة)** :

١- أن سورة الأنفال من أول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة وقد توفي النبي ولم يبين لهم في هذا الأمر شيئاً فتركوه .

٢- أن سورة براءة نزلت بالسيف وفيها آية السيف وذكر الرحمة بالبسملة ينافي هذا الأمر ومن عادة العرب إذا أرادت أن تخاطب بالسيف لا يقدمون مقدمات تتناول الرحمة .

٣- أن سورة براءة نسخ منها آيات عديدة منها البسملة .

٤ــ وقيل لأنها لم ترد عن النبي ﷺ وهو الصحيح .

تعدد أسماء السور

يكون للسور اسم وهذا الغالب في سور القرآن وقد يكون لها أكثر من اسم **مثل** :

- **الفاتحة** : قيل لها خمسة وعشرون اسما (٢٥) : (أم الكتاب ، أم القرآن ، السبع المثاني ، الفاتحة ، الشافية ، الكافية) إلى غير ذلك .
- **الإسراء** : تسمى (سورة بني إسرائيل) ، وتسمى (سورة سبحان) .
- **محمد** : تسمى (سورة القتال) .
- **الزمر** : تسمى (سورة الغرف) .
- **فصلت** : تسمى سورة (المصابيح) .
- **ص** : تسمى (سورة داود) .
- **طه** : تسمى سورة موسى (سورة موسى) . وهكذا ..

*** سؤال / هل تسمية السور توقيفية أم كانت اجتهادية ؟**

هذه المسألة اختلف فيها العلماء على **ثلاثة أقوال** :

الأول : أن التسمية توقيفية ، أي أن النبي ﷺ هو الذي سماها .

الثاني : أن التسمية كانت اجتهاداً من الصحابة .

الثالث : أن تسمية سور القرآن الكريم بعضها توقيفي وبعضها باجتهاد من الصحابة .

والأخير هو الأقرب لأننا إذا نظرنا إلى ما ورد عن النبي ﷺ فهو توقيفي ، ومما يقويه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث لمن سأله عن الكلالة قال : **(أما تكفيك الآية التي في آخر النساء)** فأطلق عليها النساء . وأيضاً قوله : **(من قرأ الآيتين من البقرة ..)** فسماها البقرة ، ومالم يرد فيه حديث نقول إنه باجتهاد من الصحابة.

*** تقسيم السور باعتبار الطول والقصر** :

تنقسم سور القرآن الكريم باعتبار الطول والقصر **إلى أربعة أقسام** :

١- **الطُّوال** : وهي السبع (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف – الأنفال مع التوبة – وقيل يونس) .

٢- **المِئُون** : وهي ما ولي الطوال وهي ما تزيد آياتها عن مائة أو تقاربها (هود – يوسف – الكهف – الإسراء) .

٣- **المثاني** : وهي التي تلي المئين وهي السور التي آياتها تقارب المائة فما دون (الأحزاب – غافر – الزمر) وسميت المثاني لأنها تثنى أكثر وتعاد كثيراً .

٤- **المفصل** : سمي بذلك **لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة** ويبدأ من (ق إلى آخر القرآن) .

* **وينقسم إلى أقسام :**

أ- **طوال المفصل** : من ق إلى عم .

ب- **أواسط المفصل** : من عم إلى الضحى .

ج- **قصار المفصل** : من الضحى إلى الناس

ترتيب سور القرآن هل كان اجتهاديا أو توقيفيا ؟

الرأي الأول : **ذهب طائفة من أهل العلم أن ترتيب سور القرآن الكريم كان بتوقيف من النبي ﷺ** فلم توضع سورة في موضعها من المصحف إلا بناء على أمر النبي ﷺ . **وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها :**

١- إجماع الصحابة ﷺ على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ثم نسخ في عهد عثمان ولم يخالف في ذلك أحد من الصحابة ولو لم يكن ترتيب المصحف توقيفياً لحصل خلاف بين أصحاب رسول الله في تقديم أو تأخير ، لكن مادام أنه لم يحصل فقد علموا أن الترتيب توقيفي بأمر النبي ﷺ.

٢- ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن حذيفة ﷺ قال : **" كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف وفيهم قال : فقال لنا رسول الله ﷺ طرأ علي حزبي فأردت ألا أخرج حتى أقضيه ، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وحزب المفصل من ق حتى نختم "** أ . هـ . فهذا يدل على أن الترتيب كان في عهد النبي ﷺ وفي حضرته.

٣- روى ابن أبي شيبة **أن النبي كان يجمع المفصل في ركعة من ق إلى الناس** ، قالوا :وحزب المفصل خمس وستون (٦٥) سورة، وقد جمعه وقرأه ﷺ في ركعة ففيه دليل أنه رتب في عهده .

٤- ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : **(في بني إسرائيل والكهف و مريم و طه والأنبياء أنهن من العتاق الأول وهن تِلَادي)** أي من أوائل السور نزولاً و لا يزلن حديثات لم يتغيرن ولم ينسخن ، { **التلاد :الشيء الجديد** } .

٥- قوله ﷺ في ما رواه مسلم : **(اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران)** ، فجاءت مرتبة كترتيبها في المصحف .

٦- ما رواه البخاري **(أن النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قرأ بقل هو الله أحد والمعوذتين)**.

الرأي الثاني : **أن ترتيب سور القرآن كان باجتهاد من الصحابة** وقد استدل أصحاب هذا الرأي باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة وقد كانت أدلتهم **على النحو التالي :**

١- قالوا إن الصحابة كانت لهم مصاحف مختلفة في الترتيب فمنهم من رتب على حسب نزول القرآن الكريم كمصحف علي بن أبي طالب ﷺ أوله (**اقرأ ثم المدثر ثم نون والقلم ثم المزمل وهكذا**) بدأ بالمكي ثم إذا انتهى بدأ بالمدني ، وأن مصحف عبد الله بن مسعود مبدوءاً (**بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران** ..) وهكذا ، ومصحف أبي كان مبدوءاً (**بالحمد ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران**).

٢- ما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال : **(قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطُّوال فقال عثمان : وكان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من أواخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يتبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قَرَنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال)** أ.هـ . **الشاهد** : **قول عثمان** : فقرنت بينهما وقوله فظننت أنها منها دليل على أنه من تصرفه واعتراض ابن عباس دال على أن الترتيب كان بالاجتهاد .

القول الثالث : **أن الكثير من سور القرآن الكريم ترتيبه بالتوقيف ، وبعضه كان ترتيبه باجتهاد من الصحابة** وإلى هذا ذهب كثير من العلماء فقالوا : ما ثبت بالأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول كان توقيفياً وما لم يأت دليل على ترتيبه كالأنفال والتوبة ما كان باجتهاد من الصحابة وهذا أولى في الجمع فمنها ما كان توقيفياً ومنها ما كان باجتهاد الصحابة وهذا يجمع بين القولين .

مناقشة أدلة القول الأول :

- حديث حذيفة ليس فيه دلالة صريحة على أنه كان توقيفياً لأنهم لم يوردوا الترتيب بل عددوا السور فليس فيه دلالة صريحة على ترتيب السور بأسمائها ، والأدلة الأخرى فيها ترتيب جزئي أي لبعض سور القرآن كترتيب الإخلاص والمعوذتين وغيرها . وأقوى ما استدلوا به إجماع الصحابة على ترتيبه ثم حديث حذيفة الثقفي وهو لما قال له أصحاب رسول الله ﷺ(**كنا نحزب القرآن**) ، وهذا ليس فيه دلالة صريحة بترتيب سور القرآن بأسمائها وإنما هو في ذكر أحزابه فقد تكون بعضها مقدمة على بعض ، فمثلاً قوله : **(نحزبه ثلاث سور)** قد تكون البقرة وآل عمران والنساء أو العكس أو غيرها فليس فيه دلالة صريحة .
- وحديث ابن مسعود في **(بني إسرائيل والكهف و مريم...)** ترتيب جزئي، وكذا حديث:**(اقرؤوا الزهراوين ...)** ترتيب جزئي كذلك ، و قراءته للإخلاص والمعوذتين ترتيب جزئي .

♦ فأدلتهم إما غير صريحة كالدليل الأول أو أن الأدلة الأخرى تدل على الترتيب الجزئي لا الكلي . أما دليلهم الأول وهو إجماع الصحابة فقد يكون إجماعهم مبنياً على توقيف النبي ﷺ أو إجماعا مبنياً على قول أبي بكر وعمر ﷺ .

مناقشة القول الثاني :

١- **الدليل الأول** اختلاف ترتيب مصاحف الصحابة كانت أحادية أي أن كل شخص على حدة وكان يكتب بنفسه ، ثم إن الصحابة لما علموا بترتيب مصحف أبي بكر ثم عثمان تركوها ثم أن عثمان لما أمر بإحراق جميع المصاحف ما عدا مصحفه الذي كتبه استجاب الصحابة لهذا الأمر وتركوا مصاحفهم ، وتركهم مصاحفهم دليل على أن هذا لم يكن ترتيباً دقيقاً مجمعا عليه.

٢- أن ما استدلوا به من قصة ابن عباس مع عثمان حديث غير صحيح لأن في سنده يزيد القاضي وفي بعض النسخ الفارسي وهو مجهول الحال فلا يصح الاعتماد عليه وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد : هذا حديث لا أصل له . وعلى فرض صحته فنقول: إنه يدل على ترتيب هاتين السورتين بالاجتهاد فقط . أما سواهما فهو توقيفي .

اختار شيخ الإسلام القول الثاني وكذا الشيخ **محمد بن عثيمين** وأما **الحافظ ابن حجر** فيرجح القول الثالث وهو ،وأما **الشنقيطي** يرى أنه كان توقيفيا ما عدا براءة والأنفال ، وإن قلنا بأنه توقيفي عن النبي ﷺ وبعضه اجتهادي فإنه يجب ترتيبه على هذا النسق وإن قلنا بالقول الثالث فإنه يجب ترتيب القرآن الكريم على هذا النسق المعروف ولا يجوز مخالفته لأنه انعقد الإجماع في عهد أبي بكر وعهد عثمان وترك الصحابة مصاحفهم استجابة لأمر عثمان لأن النبي ﷺ أرشد الأمة إلى الأخذ بأقوال الصحابة **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)** وقوله ﷺ : **(اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)** .

* الرسم العثماني :

المراد به ومعناه : **هو رسم المصحف على الطريقة التي ارتضاها عثمان ﷺ ومن كان معه من الصحابة في كتابة كلمات القرآن ورسم حروفه بالمصاحف التي وجه بها إلى الآفاق .**

وهذا الرسم الذي عرف في عهد الصحابة كان له قواعد وأسس انطلق منها وعليه فقد استخرج العلماء من هذا الرسم وهذه الطريقة قواعد وقد تكون القواعد مخالفة للكتابة الإملائية والقواعد الإملائية المعروفة

والأصل في الكتابة أن توافق المنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل إلا أن الرسم العثماني كان له أحرف خالفت قواعد الخط واتخذت طريقة خاصة عرفت بالرسم العثماني.

قواعد الرسم العثماني :

١- **قاعدة الحذف** كحذف الألف أو الياء أو الواو، فالألف مثل: **(ه سلمت مؤه نت قنـ تنـ)**، **(سمعون)**، والياء مثل : **(ياعبادِ فاتقون)**، **(فأر سلون)**، **(اء بدون)**، **(اذ شون)** ، ووردت بإثبات الياء في موضع واحد في سورة البقرة **(واخشوني)** ومثال حذف الواو **(و يدعُ الإنسان)** في الإسراء ، **(سندعُ الزبانية)** في العلق ، **(ويمحُ الله الباطل)** في الشورى .

٢- قاعدة الزيادة كزيادة الألف أو الياء أوالواو:

- مثال الألف:**(وتظنون بالله الظنونا)**، **(ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)** في سورة الأحزاب.
- مثال الياء : **(ومن آنائي الليل فسبحه)**، **(والسماء بنيناها بأييد)** .
- مثال الواو : **(أولوا الألباب)**، **(وأولات الأحمال)**، **(أولوا الأرحام)**.

٣- **قاعدة كتابة الهمزة حيث خالفت القواعد الإملائية (تفتؤ)**، **(أتوكؤ)**، **(مايعبؤ)** .

٤- قاعدة البدل:

- إبدال الألف واواً نحو : **(الصلوة)**، **(الزكوة)**، **(مشكوة)**، **(منوة)** .
- أن تبدل التاء المربوطة بتاء مفتوحة نحو : **(امرأت فرعون)**، **(رحمت الله)**، **(شجرت الزقوم)**، **(نعمت الله)**، **(سنة الله)** . وعند الوقف يوقف على تاء ساكنة .

٥- **قاعدة الفصل والوصل** كما في **(ألا تقولوا)** ، **(ألا تعلو)** ، وتكتب : **(أن لا تعلوا)** ومثلها **(مما ملكت) (من ما ملكت)**، **(عن ما نهوا) (عما نهوا)** . و الأصل أنها توصل في أكثر المواضع .

مافيه قراءتان وكتب على إحداهما مثل : **(ملك)** يكتب بإحدى القراءتين ويرمز للقراءة الثانية وهي **(مالك)** حيث أشير بألف صغيرة . **(ووعدنا موسى)**، **(ولولا دفع الله الناس)** وعلى قراءة **(دفاع)** .

يرجع في هذا لكتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني.

حكم كتابة المصحف بالرسم العثماني :

اختلف العلماء في حكم كتابة المصحف بالرسم العثماني هل هو توقيفي أو اجتهادي **على أقوال** :

القول الأول : أن كتابة المصحف بالرسم العثماني توقيفي يجب الأخذ به في كتابته ونسبوا التوقيف إلى النبي ﷺ كان يأمر كتبة الوحي بهذه الطريقة وذكروا في ذلك حديثاً ضعيفاً واستدلوا بآثار عن السلف .

القول الثاني : أن كتابة القرآن بالرسم العثماني ليست توقيفية عن النبي ﷺ ولكنها اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول فلا بد من الأخذ به وقد سئل الإمام أحمد عن الرسم العثماني وقال تحرم مخالفته .

القول الثالث : أن الرسم العثماني اصطلاحي ولا مانع من مخالفته إذا اصطلح الناس على رسم خاص وقالوا إنه لم يرد عن النبي ﷺ رسم معين يجب الأخذ به ولا في إجماع الصحابة دليل على تحريم كتابته بغير هذا الرسم وقالوا فكل من ادعى أنه يجب على الناس هذا الرسم المعروف وجب عليه أن يقيم الحجة وأن يأتي بالدليل .

* **ومن خلال عرض هذه الأقوال الثلاثة يتبين أن الأقرب هو القول الثاني وهو أن نقول** : إن الرسم العثماني توارثته الأمة بالقبول زمناً بعد زمن والحفاظ عليه ضمان قوي لصيانة القرآن من التغيير والتبديل ولو أبيحت كتابته بالخطوط الإملائية كما في القول الثالث لأدى ذلك إلى تغيير المصحف في كل عصر وفي كل زمن فعليه يكون الأقرب هو القول الثاني الذي يرى أن كتابة القرآن اجتهاد من الصحابة لا يجوز تغييره ، واصطلاح ارتضاه عثمان رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول فيجب الأخذ به.

الأطوار التي مر بها المصحف العثماني

نسخت المصاحف العثمانية وهي خالية من الشكل والنقط ، **والشكل هو** :**الحركات التي تكون على الأحرف أو تحتها كالضمة والفتحة والكسرة ونحوها ، والنقط : هو ما يسميه العلماء بالإعجام** فالنقطة على العين تقلبها غيناً ، والنقطة على الراء تقلبها زياً وهكذا .

فاحتملت بكتابتها على هذا النحو عدداً من الوجوه والقراءات التي كان الناس في الأمصار يميزون بينها بالسليقة فلا يحتاجون لقراءتها بصورة صحيحة إلى الشكل والنقط . ومثال ذلك قوله ﷻ : **(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)** وقرأت **(فتثبتوا)** كانوا يميزون بين هذه القراءات بالسليقة ولا يحتاجون إلى النقط ، أما بالنسبة للحركات فهي تؤخذ بالتلقي مثل قوله ﷻ : **(قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عَمَلٌ غَيرُ صالح)** وقرأت **(عَمِلَ)** .

وقد ظل الناس فترة يقرأون القرآن في مصحف عثمان خالياً من الشكل والنقط ، قالوا إنه بلغ بضعاً وأربعين سنة على هذه الحال حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥هـ) وحينئذ كثرت التصحيفات

وانتشرت في العراق خاصة في خلافة عبد الملك فخاف بعض رجال الحكم أن يتطرق التحريف إلى النص القرآني ففكروا بإحداث أشكال معينة تساعد على القراءة الصحيحة واختلف العلماء في أول من نقط القرآن وذكر **أكثرهم ثلاثة من العلماء :**

(**أبو الأسود الدؤلي**) وهذا هو الأشهر (ت: ٦٩هـ) ، (**ويحيى بن يعمر**) (ت: ١٢٩هـ) ، و(**نصر بن عاصم الليثي**) (ت: ٨٩هـ) .

* **أما أبو الأسود** فقد اشتهر بأنه سبق إلى وضع مسائل في العربية بأمر علي بن أبي طالب ﷺ ، ويظهر أن عمله بالقرآن بالتنقيط لم يكن إلا امتداداً لعمله السابق ويذكر بعض العلماء قصة في هذا الموضوع تبين شدة غيرته على لغة القرآن .

قيل أنه سمع قارئاً يقرأ (**أن الله بريء من المشركين ورسوله**) فقرأها بجر اللام ، فأفزعه هذا اللحن وقال : "**عز وجه الله أن يبرأ من رسوله** " ثم ذهب إلى والي البصرة وأخبره الخبر وكان والي البصرة زياد بن أبيه ثم طفق أبو الأسود وجَدَّ جده وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف وجعل علامة السكون نقطتين ، وكان عمله سنة (٦٥هـ) .

***ثم امتد الزمان** فازدادت عنايتهم بالرسم العثماني وتيسيره فظهرت أشكال جديدة وحركات جديدة عما سبق فقد كان **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت: ١٧٥هـ) له النصيب الأوفر في الحركات وظهورها فوضع **الحركات المعروفة وهي :**

- الفتحة على شكل مستطيل صغير فوق الحرف .
- مثله الكسرة مستطيل صغير تحت الحرف .
- واو صغيرة للضمة .
- التنوين شرطتان فوق الحرف للنصب ، في حال الجر شرطتان تحت الحرف ، وفي حال الرفع واوان صغيرتان فوق الحرف .

وفي ذلك الزمان أيضا قسم القرآن إلى أحزاب وأجزاء تبعا لعدد الحروف أو الآيات، وتنسب بعض المصادر هذا العمل إلى نصر بن عاصم ويحيى بين يعمر أيضا، فقد روي أن الحجاج بن يوسف كلف طائفة من الحفاظ والقراء بعدّ آيات القرآن، وتم تحزيب القرآن تبعا لهذا العد.

وقيل إن تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً – وهي التجزئة التي عليها مصاحفنا اليوم– منسوبةً إلى أبي بكر بن عياش المتوفى سنة ١٩٣هـ ، والواقع أننا لا ندري على وجه الدقة من صاحب هذه التجزئة، أهو الحجاج أم غيره؟ ورأى بعض الباحثين المعاصرين أن التجزئة المعروفة حاليا في المصاحف تقوم على أساس

عدد الصفحات لا عدد الآيات أو عدد الكلمات والحروف، وقد وضعت بحيث يكون لكل جزء عشرون صفحة، فيكون مجموع صفحات المصحف ستمائة صفحة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحزبون القرآن، بمعنى أنهم يقسمونه إلى أجزاء في التلاوة، وكان تقسيمهم قائما على اعتبار السور لا الآيات كما ظهر في العصر الأموي وما بعده واستقرت عليه كتابة المصاحف، فكان يحزبونه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم.

ولاشك أن تحزيب القرآن على هذا النحو —وإن كان متفاوت الأجزاء- يراعي اتصال آيات السور ولا يقطع حديثا متصلا، فإن التحزيبات المحدثة بالحروف أو بالآيات لم يراع فيها الوقف والابتداء ؛ فكثيراً ما تتضمن الوقوف على كلام متصل بما بعده ويكون الابتداء بما له ارتباط وثيق بما قبله ، وذلك كالابتداء بقوله تعالى " والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم " مع اتصالها الشديد بما قبلها .

* **واعتنى العلماء بالتخميس** (علامة كل خمس آيات) والتعشير (علامة عند كل عشر آيات) ويسمونه معشرا وأخذوا ذلك من قول أبي عبد الرحمن السلمي أخبرنا صحابة رسول الله ﷺ " **أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظوها ويعملوا بما فيها ، فقالوا تعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا** " .

***ثم وضع ترقيم الآيات** ووضعت السجدات ثم بعد ذلك وضعوا في فواتح السور اسم السورة وعدد آياتها ونوعها مكية أو مدنية .

* **ثم وضعت علامات الضبط** وهي علامات الوصل والوقف إلى غير ذلك من وجوه التحسين التي مر بها القرآن الكريم .

ومن حيث الحكم فمنهم من منع ومنهم من أجاز واستند المانعون إلى قول ابن مسعود "**جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء** " والذين أباحوا ذلك نظروا إلى أن هذا فيه صيانة القرآن من اللحن والتحريف، فإن وجد داع لذلك فالأمر واسع ، ولعل ابن مسعود لا يريد بذلك النقط والتشكيل وإنما أراد الزيادة في القرآن كالتفسير ونحوه .

طباعة المصحف

* **وقد طبع المصحف** الطبعة الأولى عام (١٥٣٠م) ، طبع في أوروبا ولكنه لم ينتشر ثم طبع في روسيا عام (١٧٨٧م) وانتشر لكنه انتشر انتشاراً قليلاً ثم في الهند ثم في تركيا حاضنة الإسلام عام (١٨٧٧م

) ثم في القاهرة طبع طبعة أنيقة ودقيقة عام (١٣٤٢هـ /١٩١٢م) بإقرار لجنة علمية وقد كتب هذه الطبعة برواية حفص عن عاصم ثم بعد ذلك انتشرت الطبعات القرآنية في مصر طباعة ونشراً وتوزيعاً.

الطبعات المصرية للمصحف الشريف

يتداول الناس مقولة ذائعة تقول إن القرآن نزل في الحجاز، وكتب في تركيا، وقرئ في مصر، وذلك لما تميزت به دار السلطنة العثمانية في كتابة المصاحف ومبادرتها إلى طبع المصحف، ولما تميزت به الديار المصرية من إتقان التلاوة وجمالها، غير أن واقع تاريخ المصحف يشير إلى أن القرآن طبع في مصر أيضا كما قرئ فيها، بمعنى أن مستوى الإجادة التي قرئ بها في مصر لا يقل عن مستوى الدقة التي طبع بها، ولذلك من الحق أن يقال إن القرآن قرئ في مصر وطبع فيها أيضا.

ففي مطبعة بولاق الشهيرة بمصر التي عرفت فيما بعد بالمطبعة الأميرية طبع المصحف الشريف لأول مرة على الأرجح سنة ١٨٣٣م لكنه لم يخل من أخطاء دفعت بعض علماء الأزهر إلى حث الخديوي عباس الأول على الأمر بمصادرتها، ثم توالى طبع المصحف بعد ذلك في مطبعة بولاق وبلغ من العناية به أن خصص جزء من مطبعة بولاق لطبعه خاصة ، وعرف باسم مطبعة المصحف الشريف.

وفي مصر ظهر أول مصحف مطبوع موافق للرسم العثماني كتبه الخطاط عبد الخالق حقي المعروف بابن الخوجه ، وكانت المصاحف المطبوعة كلها تهمل هذا الرسم وتسير على الرسم الإملائي أو لا تدقق في تحري رسم جميع الكلمات على وفق الرسم العثماني، وهو عمل جليل صدر بإشراف أحد أعلام الإقراء وهو الأستاذ العلامة المحقق الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي، الذي نسب إليه المصحف وشاع خطأ أنه هو الذي تولى كتابته بنفسه، والظاهر أن يكون الشيخ قد كتب النسخة التي نقل عنها ابن الخوجه، فقد وقع في ضبط بعض الكلمات ورسمها أخطاء فادحة لا يمكن أن تصدر عن الشيخ المخللاتي المعروف بدقته وضبطه.

المصحف الأميري:

ونظرا لما شاب مصحف المخللاتي من هنات ومآخذ، فقد سعى الملك فؤاد الأول إلى طباعة المصحف مجددا على نفقته، وانتدب لهذا العمل لجنة علمية ترأسها شيخ المقارئ المصرية آنذاك الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، بمصاحبة الأستاذ حفني ناصف العالم اللغوي، ومصطفي عناني المدرس بمدرسة المعلمين، وأحمد الإسكندري رئيس المصححين بالمطبعة الأميرية، فكتبوا القرآن كله حسب قواعد الرسم العثماني، وأتموا ضبطه وفق ما ذهب إليه المحققون من العلماء، وبينوا في ترجمة كل سورة عدد آيها وأنها مكية أو مدنية، وأنها نزلت بعد سورة كذا، ووضعوا لكل آية رقمها، ووضعوا علامات للوقوف وجعلوها خمسة أقسام: م للمتنع، قلي وتعني الوقف أولى، صلي وتعني الوصل أولى، ج لجواز الوجهين، لا للوقف الممتنع، كما وضعوا علامات الأجزاء والأحزاب والأرباع والسجدات. وقد أثبتوا في خاتمة المصحف تعريفا به لا يزال متداولا في المصاحف إلى يومنا هذا.

مصحف الشمرلي

يرتبط مصحف الشمرلي بأذهان جيل كامل من المصريين، فقد كان هو المصحف الذي تعلق به كبار القراء والعلماء وطلاب العلم وعوام المسلمين وخواصهم في مصر والدول العربية إلى أن أنشئ مجمع الملك فهد، وقد علل الدكتور المعصراوي –شيخ المقارئ الحالي– انتشار مصحف الشمرلي بعنايته البالغة بطباعة المصحف متمثلة في قلة الأخطاء وجودة الورق وتنوع الأحجام واعتدال الثمن.

ولا يزال حفظة القرآن من الشيوخ الكبار يعتمدون على هذا المصحف الذي احتفظت ذاكرتهم بصورته، فيستطيعون أن يحددوا فيه مواضع الآيات وبدايات السور ونهايتها بالذاكرة البصرية، ويذكر أحد الباحثين في دراسة قدمها لندوة طباعة القرآن الكريم ونشره التي عقدت منذ عامين بالسعودية، أن الشيخ الحصري كان يكثر من إهداء هذا المصحف المفضل لديه لكل زائر لبيته، فكانت عربة المطبعة تأتي إليه كل شهر بكم كبير من المصاحف ليقوم بتوزيعها.

طباعة المصحف الشريف في المملكة العربية السعودية

تعود بداية طباعة المصحف الشريف في المملكة العربية السعودية إلى عام ١٣٦٩هـ عندما ظهر المصحف المعروف بمصحف مكة المكرمة، الذي طبعته شركة مصحف مكة المكرمة.

ففي مقال للأستاذ عبد القدوس الأنصاري في مجلة المنهل، ذكر أن فكرة طباعة هذا المصحف كانت للأستاذ محمد سعيد عبد المقصود عندما كان مديرًا لمطبعة أم القرى الحكومية، إلا أنه توفي قبل تحقيقها، ثم تبنى المشروع الأساتذة: محمد علي مغربي، وإبراهيم النوري، وعبد الله باحمدين، وفي بيان إجمالي عن هذا المصحف في جريدة أم القرى، ذكر أنه عندما نضجت فكرة طباعة مصحف مكة المكرمة، تكوَّنت شركة مساهمة محدودة سجلت رسميًا باسم ((شركة مصحف مكة المكرمة)) مؤلفة من: محمد سرور الصبان، وعبد الله باحمدين (المدير الرسمي للشركة) ، وإبراهيم نوري (المراقب العام لأعمالها) ، ومحمد علي مغربي (أمين الصندوق) ، ومحمد لبنى، وكان رأس مالها مائتي ألف ريال سعودي .

اشترت الشركة مقرًا لها في مكة المكرمة، واشترت آلة طباعة حديثة من أمريكا، يمكن أن يطبع فيها المصحف الشريف بأحجام مختلفة، واتفقت مع مهندسين فنيين لتركيبها.

وتم الاتفاق مع الخطاط المعروف الأستاذ محمد طاهر الكردي في سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥م) على كتابة المصحف على قواعد الرسم العثماني، وقام بذلك خير قيام، وعندما انتهى من كتابته صححته لجنة من علماء مكة: السيد أحمد حامد التيجي أستاذ علم القراءات بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام، والسيد محمد أحمد شطا المعاون الثاني لمدير المعارف بمكة، والسيد إبراهيم سليمان النوري المفتش بمديرية المعارف بمكة، ثم أرسل إلى مشيخة الأزهر فوافقت على التصحيح، وكان شيخ القرّاء والمقارئ المصرية الشيخ محمد علي الضَّباع ممن صححه ووضع خاتمه الرسمي عليه .

وبعد خمس سنوات استغرقها العمل بين الكتابة والتصحيح تم الانتهاء من هذا المصحف في عام ١٣٦٧هـ، وبدأ طبعه بالحجم الكبير ابتداءً من ليلة الجمعة الموافق ١٧ من شهر ذي القعدة عام ١٣٦٨هـ، وانتهى في ٧ من شهر ربيع الأول عام ١٣٦٩هـ، ثم بدئ في طبع الحجم الصغير، وبقية الأحجام. ووصفت جريدة أم القرى هذا المصحف بما يلي:

١. أن ابتداء كل صفحة أول آية، كما أن نهاية كل صفحة آخر آية.

٢. أن ابتداء كل جزء في أول صفحة، كما أن انتهاء كل جزء في آخر صفحة.

٣. أن كل جزء عشرون صفحة ما عدا جزء عمّ.

٤. أن علامات الأحزاب وأنصافها وأرباعها قوسية هلالية.

٥. أن علامات السجدات رسم الكعبة.

٦. أن النقوش التي حول الفاتحة في الصفحة الأولى، وحول أوائل البقرة في الصفحة الثانية مركبة من كلمة مكة بالأحرف الكوفية.

٧. وضع بعد نهاية المصحف في آخره دعاء جامع يتلى عند ختم القرآن، وهو مختار من الأدعية المأثورة.

وكان صدى ظهور هذا المصحف واسعًا في داخل المملكة وخارجها، وكانت فرحة الملك عبد العزيز رحمه الله بظهوره كبيرة، وقدم للقائمين عليه دعمًا ماديًا ومعنويًا سخيًا، وكذلك أصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء وكبار موظفي الدولة، كما لاقى استحسان المسلمين في خارج المملكة وثناءهم، وأشادت به الصحف الصادرة في بعض تلك البلاد .

وبعد ثلاثين عامًا من ظهور مصحف مكة، ظهر مصحف آخر في مدينة جدة، وذلك في عام ١٣٩٩هـ، بمطابع الروضة، بعد مراجعته والموافقة عليه من الجهة المخولة بذلك في المملكة العربية السعودية، وأشرف على هذه الطبعة عدد من القائمين على المطبعة وعلى رأسهم: الأستاذ عبد الله باعكضه مدير عام مطابع الروضة، وزميلاه: محمد طرموم، ومحمد بلجون.

وفي شهر المحرم من عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م) أُعلن عن افتتاح أعظم وأكبر مطبعة في العالم تقوم على خدمة القرآن الكريم في المدينة المنورة، وهو أول عمل حكومي رسمي لطباعة القرآن الكريم، وفتح عظيم نفع الله به ملايين المسلمين في مختلف بقاع الأرض.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تتجلى أروع مظاهر العناية بالقرآن الكريم التي قامت بها المملكة العربية السعودية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة.

فعندما كثرت الطبعات التجارية وغيرها للمصحف الشريف، والتي لم تَحْظَ بالعناية الكافية من التدقيق والضبط وحسن الطباعة والإخراج، وفَّق الله ولاة الأمر في هذه البلاد لإنشاء مجمع لطباعة المصحف الشريف، وزوّد بأرقى التجهيزات الطباعية الحديثة، وأمهر الفنيين المختصين في مجال الطباعة.

ووقع الاختيار على مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لتكون مقرًّا لهذه المنشأة العظيمة؛ لمكانتها في نفوس المسلمين، ولأنها عاصمة الإسلام الأولى التي تنزل فيها الوحي على خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وشع منها نور القرآن فأضاء أنحاء المعمورة.

واتفق على تسمية المصحف الذي يتم طبعه في هذا المجمع بمصحف المدينة النبوية؛ تيمنًا بهذه البقعة المباركة.

ففي السادس من شهر صفر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٨٤ كان حدثًا عظيمًا أثلج صدور المسلمين عندما أزاح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الستار إيذانًا بتشغيل المجمع، بعد أن اكتمل بناؤه وتجهيزاته الفنية والبشرية،

أهداف المجمع:

١. طباعة المصحف الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي.
٢. ترجمة وطباعة معاني وتفسير القرآن الكريم إلى أهم وأوسع اللغات انتشارًا.
٣. تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات مشاهير القراء.
٤. إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والسنة والسيرة النبوية المطهرة.
٥. نشر إصدارات المجمع على الشبكات العالمية.
٦. تلبية حاجة المسلمين في الداخل والخارج من إصداراته المختلفة.

طُبع المصحف الشريف في المجمع برواية حفص عن عاصم، وهي الرواية التي يُقرأ بها في معظم بلاد العالم الإسلامي، وكتب هذا المصحف على قواعد الرسم العثماني، وضُبط على ما قرره علماء الضبط مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة، وعدد آياته ٦٢٣٦ آية وفقًا للعدد الكوفي، ومجموع صفحات ٦٠٤ صفحة تنتهي كل صفحة بآية،

كما طُبع برواية ورش عن نافع المدني، وهي الرواية التي يُقرأ بها في معظم دول المغرب العربي (المغرب، والجزائر، وتونس، وموريتانيا) إضافة إلى السنغال، وتشاد، ونيجيريا، وكتب هذا المصحف بالخط المشرقي على حسب قواعد الرسم العثماني، وضُبط بالضبط المغربي، وعدد آياته ٦٢١٤ آية وفقًا لعدد المدني الأخير، ومجموع صفحاته ٥٥٩ صفحة.

كما طبع برواية الدوري عن أبي عمرو البصري، وكتب بالخط المشرقي على حسب قواعد الرسم العثماني، وضبط على ما قرره علماء الضبط مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة، ما عدا بعضًا يسيرًا، فقد روعي في ضبطه مذهب أكثر المغاربة، وما جرى العمل به في السودان. وعدد آياته ٦٢١٤ آية وفقًا للعدد المدني الأول، ومجموع صفحاته ٥٢١ صفحة، ولا تنتهي صفحاته بآية.

كما طبع مصحف نسخ تعليق برواية حفص عن عاصم، على حسب قواعد الرسم والضبط المتعارف عليها في باكستان وما جاورها، وعدد آياته ٦٢٣٦ آية وفقًا للعدد الكوفي، وعدد صفحاته ٦١١ صفحة.